الغفلة وعلاجها

الحمد لله رب العالمين أحمده - سبحانه وتعالى- وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأسأله التوفيق للسعي والعمل، والابتعاد عن الغفلة والكسل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحيا بكتابه القلوب، وهدى به من الضلالة، وذكر به من الغفلة، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، قام بأمر ربه خير قيام، وحذر من الغفلة وأيقظ الغافلين النيام، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا مباركاً مزيداً، وبعد،،،

فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33] كم مرة طرقت سمعنا مثل هذه الآيات آمرة لنا بتقوى الله، ومنذرة إيانا يوم المعاد، وعدم الاغترار بزخارف الدنيا وشهواتها، ولكن أين يا ترى واقع المسلمين العملي من التزام تلك التعليمات؟

إن من يتأمل أحوال الناس في هذا الزمان يرى أنه يصدق على كثير منهم قوله - تعالى -: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1]، الغفلة: غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، والمعنى: اقترب يوم القيامة الذي سيحاسب فيه الناس وهم في غفلة عن الآخرة وعن ما خلقوا من أجله، وكأنهم لم يخلقوا للعبادة، وإنما خلقوا للدنيا وشهواتها، فإنهم إن فكروا فللدنيا، وإن أحبوا فللدنيا، وإن عملوا فللدنيا، فيها يتخاصمون، ومن أجلها يتقاتلون، وبسببها يتهاونون أو يتركون كثيراً من أوامر ربهم، حتى أن بعضهم مستعد أن يترك الصلاة أو يؤخرها عن وقتها من أجل مباراة كرة قدم ..!!

كل شيء في حياتهم له مكان وأولية، للوظيفة مكان، للرياضة مكان، للتجارة مكان، للرحلات مكان، للنوم مكان، للأكل والشرب مكان، كل شيء له مكان إلا القرآن وأوامر الدين فله مكان مؤخر ورتبة متأخرة ولا حول ولا قوة إلا بالله..!!

تجد الواحد منهم ما أعقله وأذكاه في أمور دنياه، لكن هذا العاقل المسكين لم يستفد من عقله فيما ينفعه في أخراه، ولم يقده عقله إلى أبسط أمر وهو طريق الهداية والاستقامة على دين الله الذي فيه سعادته في الدنيا والآخرة، وهذا هو والله غاية الحرمان ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: 7].

فيا من تسمع هذه الكلمات قف قليلاً وراجع نفسك وحاسبها وانظر كيف أنت في هذه الحياة، هل أنت من أولئك اللاهين الغافلين أم لا؟ وهل أنت تسير في الطريق الصحيح

الموصل إلى رضوان الله وجنته، أم أنك تسير وفق رغباتك وشهواتك حتى ولو كان في ذلك شقاؤك وهلاكك، انظر أخي في أي الطريقين تسير؟، فإن المسألة والله خطيرة، وإن الأمر جد وليس بهزل، ولا أظن أن عندك شيء أغلى من نفسك فاحرص على نجاتها وفكاكها من النار ومن غضب الجبار.

ولقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يخبرُ المسلمين بما أطلَعَه اللهُ عليه من أمورِ يومِ القيامةِ، وما سيكونُ مِن خُلودٍ في الجنَّةِ أو النَّارِ، لينهض حالهم من الغفلة إلى اليقظة، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ}[مريم :39].» «صحيح البخاري».

{وَأَنْذِرْهُمْ} أي: أنذِرْ - يا محمَّدُ- جَميعَ النَّاسِ {يَوْمَ الْحَسْرَةِ}، يعني: يومَ القيامةِ يتحَسَّرُ المسيءُ ويندَمُ إذ لم يُحسِنْ، والمقصِّرُ إذ لم يزدَدْ من الخيرِ، ومن موجِباتِ تلك الحَسرةِ ما جاء في هذا الحديثِ، وهو خلودُ الكُفَّارِ في النَّارِ، {إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ} بأنْ فُصِل بين أهلِ الجنَّة والنَّار، ودخَل كلٌّ إلى ما صار إليه مُخلَّدًا فيه، {وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} في الدُّنيا؛ إذِ الآخِرةُ ليسَتْ دارَ غَفْلةٍ.

وهناك أمور تزيل الغفلة عن العبد، منها: الإكثار من ذكر الموت، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم" :-أَكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت." «سنن الترمذي»، هاذم، أي: قاطع، فهذا أمرٌ أن يتذكر المسلمون الموت دائما، فكل نفس ذائقته لتؤدى الحقوق كاملة تامة، وليكثر الإنسان من الأعمال الصالحة ادخارا لثواب الله، وليقل الطمع والشره على جمع الدنيا، وغيرها من الأشياء التي تجلب الغفلة عن الله تعالى.

ومن العلاج للغفلة زيارة القبور وحضور الجنائز، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم" :-زوروا القبور؛ فإنها تذكركم بالآخرة " «سنن ابن ماجة»، وكذلك فإن حضور الجنائز مع ما فيه من التذكير فإنه واجب ديني ومجتمعي، «عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ" قِيلَ: مَا هُنَّ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: وعدّ منها: وإذا ماتَ فاتَّبِعْه» «صحيح مسلم».

ومن العلاج للغفلة زيارة المرضى وأصحاب البلاء، فهذا مما يوقظ العبد من الغفلة عن النعم وخصوصا نعمة الصحة والعافية، ومع ذلك هذا أيضا واجب ديني ومجتمعي «فعن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ" قِيلَ: مَا هُنَّ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: وعدّ منها: وإذا مَرِضَ فعُدْه» «صحيح مسلم».

اللهم اجعلنا من الذين إذا ذكروا تذكروا، وإذا أنذروا انتبهوا، وإذا سمعوا الحق اتبعوه، اللهم أحيِ قلوبنا بذكرك، وثبتنا على طاعتك، واصرف عنا الغفلة يا حي يا قيوم، ولا تجعلنا من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

كتبه فضيلة الشيخ: محمد محمد إسماعيل محمد ملكه مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.